حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي ظِلَالِ النُّبُوَّةِ

تنقسم حياة رسول الله ﷺ بعد أن شرَّفَهُ الله بالنبوة والرسالة إلى عهدين يمتاز أحدهما عن الآخر تمام الامتياز وهما:

العهد المكي: ثلاث عشرة سنة تقريبًا .

العهد المدني: عشر سنوات كاملة .

ثم يشتمل كل من العهدين على عدة مراحل لكل مرحلة منها خصائص تمتاز بها عن غيرها .

ويمكن تقسيم العهد المكي إلى ثلاث مراحل:

١- مرحلة الدعوة السريَّة ثلاث سنوات .

٢- مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة: من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى هجرته ﷺ إلى المدينة .

٣- مرحلة إعلان الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم من أواخر السنة العاشرة من النبوة وقد شملت العهد المدني وامتدت إلى آخر حياته ﷺ.

أما مراحل العهد المدني فسيجيء تفصيلها في موضعه[1] .

المَرْحَلَةُ الأُولَى: الدَّعْوَةُ سِرًّا

ثَلاثُ سَنَوَاتٍ مِنَ الدَّعْوَةِ السِّرِّيَّةِ:

بدأ النبي ﷺ يستجيب لأمر الله بعد نزول ما تقدم من آيات سورة المدثر - فأخذ يدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام ؛ ولكنه كان يدعو إلى ذلك سرًّا حذرًا من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيتها فلم يكن ﷺ يظهر الدعوة في المجالس العمومية لقريش[2] .

الرَّعِيلُ الأَوَّلُ:

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولاً على ألصق الناس به من

---

(١) الرحيق المختوم ص ٧٣ .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٧٥ .

أهل بيته وأصدقائه فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الحق والخير، ويعرفونه بتحرى الصدق والصلاح؛ فأجابه من هؤلاء جمع عرفوا فى التاريخ الإسلامى بالسابقين الأولين، وفى مقدمتهم زوجة النبى ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومولاه زيد بن حارثة وابن عمه على بن أبى طالب وكان صبيًّا يعيش فى كفالة الرسول ﷺ وصديقه الحميم أبو بكر الصديق أسلم هؤلاء فى أول يوم للدعوة.

ثم نشط أبو بكر فى الدعوة إلى الإسلام وكان رجلاً مألفًا محببًا سهلاً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه؛ لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو من يثق به من قومه مِمَّن يغشاه، ويجلس إليه فأسلم بدعوته عثمان بن عفان والزبير بن عوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله؛ فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس هم الرعيل الأول وطليعة الإسلام[1].

دَارُ الأَرْقَم بن أَبِى الأَرْقَم:

ثم لَمَّا أربى الذين دخلوا فى الإسلام على الثلاثين؛ ما بين رجل وامرأة - اختار لهم رسول الله ﷺ دار أحدهم وهو الأرقم بن أبى الأرقم؛ ليلتقى بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم وكانت حصيلة الدعوة فى هذه الفترة ما يقارب أربعين رجلاً وامرأة دخلوا فى الإسلام عامتهم من الفقراء والأرقاء وممن لا شأن له بين قريش[2].

الصَّلاَةُ:

ومن أوائل ما نزل من الأحكام الأمر بالصلاة، قال ابن حجر: كان ﷺ قبل الإسراء يصلى قطعًا وكذلك أصحابه، ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلاة أم لا؟ فقيل: إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.. انتهى.

وروى الحارث بن أبى أسامة من طريق ابن لهيعة موصولاً عن زيد بن حارثة أنَّ رسول الله ﷺ فى أول ما أوحى إليه أتاه جبريل فعلمه الوضوء؛ فلما فرغ من الوضوء

---

(١) الرحيق المختوم ص ٨٠.

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٧٦.

أخـذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه ، وقد رواه ابن ماجه بمعناه وروى نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس وفى حديث ابن عباس: وكان ذلك من أول الفريضة .

وقـد ذكـر ابـن هـشام أن النبـى ﷺ وأصـحابه كانـوا إذا حضرت الصلاة ذهبوا فى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، وقد رأى أبو طالب النبى ﷺ وعليًا يصليان مرة فكلمهمـا فـى ذلـك ، ولَمَّا عرف جلية الأمر أمرهما بالثبات ، وهكذا مرَّت ثلاثة أعوام والدعـوة لم تزل مقصورة على الأفراد ولم يجهر بها النبى ﷺ فى المجامع والنوادى إلا أنها عـرفت لـدى قـريش ؛ وفـشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس ، وقد تنكر له بعضهم أحـيانًا واعـتدوا على بعض المؤمنين إلا أنهم لم يهتموا به كثيرًا ؛ حيث لم يتعرض رسول الله ﷺ لدينهم ولم يتكلم فى آلهتهم[1] .

العِبَرُ وَالعِظَاتُ :

ألهم الله الرسول ﷺ ؛ والإلهام للرسول نوع من الوحى إليه أن يبدأ الدعوة فى فترتها الأولى بـسرِّية وتكـتُّم ، وأن لا يلقـى بهـا إلا من يغلب على ظنه أنه سيصغى لها ويؤمن بهـا ؛ تعلـيمًا للـدعاة مـن بعـده وإرشـادًا لهـم إلى مـشروعية الأخـذ بالحـيطة والأسـباب الظاهـرة ، ومـا يقـرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التى ينبغى أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها على أن لا يتغلب كل ذلك على الاعتماد والاتكال علـى الله وحده . . وعلى أن لا يذهب الإنسان فى التمسك بهذه الأسباب مذهبًا يعطيها معنـى الـتأثير والفاعلـية فى تصوره وتفكيره ؛ فهذا يخدش أصل الإيمان بالله تعالى فضلاً عن أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام[2] .

وفـى هـذا درس لأصحاب الدعوة الإسلامية فى كل عصر أن يستعملوا المرونة فى كيفـية الدعـوة حـسبما تقتـضيه الظـروف وحـال العـصر الذى يعيشون فيه بما يتفق مع مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الإسلامية .

* * *

(١) الرحيق المختوم ٨١ - ٨٢ .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٧٦ .